# صبراً أمام النوازل أيها الناس ! ! . .

النازلة الجديدة تكون عجيبة غريبة حين يلقاها الإنسان لأول مرة فى حياته ، لأنها تفجأه وتذهله ، وتطرق بابه على غير ميعاد ، ولكنها حين تتكرر وتتعدد ، تصبح أمراً مألوفاً ، ولذلك يقل ما فيها من غرابة وعجب ، ولكن شيئاً واحداً تكرر ملايين المرات ، وظل مع ذلك مخيفاً مزلزلا ، وسيتكرر أيضاً ملايين المرات ، وسيظل على الرغم من ذلك مخيفاً مزلزلا ؛ ذلك هو الموت ، وقد كنت أظن أن العرب قوم وهبوا القوة والجلادة والثبات أمام الأحداث ، لأن طبيعة أرضهم ، وقسوة الحياة عليهم ، ومجابهتهم للحياة الخشنة المتمردة ، وتعرضهم للريح القاصف والهواء العاصف والشمس الملتهبة والرمال المتقدة والصخور الصلدة والجبال الشاهقة ، يجعلهم أشداء أقوياء ، ولكنى عدت فتذكرت ما قرأته وحفظته من أشعار العرب . فوجدت أن شعراءهم قد قالوا فى الرثاء والبكاء ، والندب والنواح ، والتفجع والتلهف ، أضعاف ما قالوا فى أى غرض آخر من الأغراض ، وأحياناً كان الواحد منهم يقف حياته كلها أو جلها على بكاء حبيب أو عزيز ، ولعلنا لا ننسى الخنساء التى ملأت الدنيا بكاء ونواحاً على أخيها صخر مما عد مثالا يروى للأجيال بعد الأجيال ، فإن قيل إن الخنساء امرأة ، والمرأة صعيفة رقيقة ، تستجيب مسرعة لرغباتها وعواطفها ودوافع الحزن والأسى فى نفسها ، قلنا : فهذا متمم بن نويرة البطل المعروف ، والرجل الصنديد المشهور ، يقدم إلى العراق بعد أن مات أخوه مالك ميتة لا تعيبه إن لم تشرفه ، فجعل لا يرى قبراً من القبور إلا بكى عليه ، وندب أخاه عنده ، فقيل له : يموت أخوك بالملا ( أى الصحراء ) وتبكى أنت على قبر بالعراق ؟ . . فجعل يقول :

لقد لامنى عند القبور على البكا
رفيقى لتذراف الدموع السوافك
فقال : أتبكى كل قبر لقيته
لقبر ثوى بين اللوى والدكادك ؟
أمن أجل قبر بالملا أنت نائح
على كل قبر ، أو على كل هالك ؟
فقلت له : إن الشجا يبعث الشجا
فدعنى ، فهذا كله قبر مالك !

فأنت تلمح من بيت متمم الأخير أنه كان لا يستطيع أن يملك نفسه ، أو يصون دمعه أو يصد شجاه ، بل كلما لمح سبباً أو علامة أو شيئاً ما يذكره بمالك عاد إلى النواح والبكاء ! ! .

والإسلام الذى جاء به سيد العلماء وزينة الأنبياء وخير من أقلت الأرض وأظلت السماء محمد العظيم عليه الصلاة والتسليم ، والذى أخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وهداهم بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، هذا الإسلام لا يريد لأهليه هذا الضعف . بل يريد منهم الثبات والصبر ، ويحرضهم على الاستسلام وحسن الاسترجاع ، ويفهمهم أن هذا أمر لا بد منه : ( كل نفس ذائقة الموت ) ، ( أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ) ( كل نفس ذائقة الموت ) ، ( كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ) . ويعدهم على الاسترجاع حسن المثوبة والأجر : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة . وأولئك هم المهتدون » .

وإنه ليسوء الإنسان وأيم الحق أن يرى كثيراً من الناس ينساقون فى الغواية ، وينطلقون مع عاطفتهم بغير هداية ، فيشقون الجيوب ويلطمون الخدود ، ويلطخون الأطراف والثياب بالسواد ، ويحزعون ويهلعون ، استجابة للشيطان . أو انقياداً للعاطفة الجامحة العمياء ، أو متابعة للجهلة السفهاء ، أو غير ذلك من خسيس الأسباب والمعاذير ، والرجولة تدعو فتاها فى مثل هذا الموقف إلى الصبر وحسن التأسى ، فهنا تكون البطولة ، وهنا تظهر الشجاعة ، وهنا تتجلى حقيقة الإيمان .

**أحمد الشرباصى**
المدرس بالأزهر الشريف